مفهوم الحداثة في شعر ميخائيل نعيمة

أ.د. رحمي أر[●]
د. ماهر حميدوف[●]

الملخص:

يعد ميخائيل نعيمة أحد روّاد الأدب العربي الحديث، كما أنّه يتميّز بشخصيّة أدبيّة فريدة تتمتّع بتعدُّد مواهبها الأدبيّة كالشِّعر والقصة القصيرة والكتابة التجريبيّة.

إذا ما تمّ تقييم ميخائيل نعيمة بالاعتماد على آثاره الأدبية كاملة فسوف يتبيّن لنا أنّ العالم الفكري لنعيمة لم يتأثّر بمعينٍ ثقافي واحد. والمتأمّل في آثاره سوف يلحظ وجود اتجاهين ثقافيين اثنين يطبعان قريحته الأدبيّة، وهما مرتبطان بالمنابع الأدبيّة التي تأثّر بها وتغذّى عليها. أوّل هذين الاتجاهين هو الاتجاه الحداثي الذي ابتعد به عن خطّ الأدب العربي التقليدي، فهو بمحاولاته الدؤوبة لبثّ روح التجديد في المعنى والمبنى الأدبي حيث كان يظهر بمظهر الواقع تحت تأثير الإعجاب بالأدب الغربي، ومن الممكن الإحساس بتشابه كبير بين مفهوم الفنّ عند نعيمة والاتجاهات الأدبيّة التي ظهرت في بادئ الأمر في أوروبا، كالمدرسة الرومانسيّة والمدرسة الكلاسيكيّة.

أما الاتجاه الثاني في الإبداع الأدبي عند نعيمة فهو المتمثّل في قبول أن يكون إحساس الفرد أساسا للبحث والتحليل والحكم وهو الاتجاه المُتأثّر بالثقافة الشرقيّة أو بالاتجاهات الفكريّة الغربيّة ذات الجذور الشرقيّة. هناك الكثير من أشعار نعيمة تحسب نتاجا لتلك الفترة.

Abstract:

The present paper deals with the concept of literature in Mikhail Naimy's works. It argues that one of the important representatives of modern Arabian literature Mikhail Naimy differs from his contemporaries as a poet, novelist and critic with his diverse literary personality. If we consider all his works together, we can see that his thought is inspired from different

● *جامعة أنقرة كلية اللغة-التاريخ و الجغرافيا ، قسم الأدب العربي .*
● *فرع الشرق والغرب في معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية أذربيجان الوطنية للعلوم*

literary and philosophical dimensions. Based on civilizations poet had been inspired and nourished, we can underline two main lines in his oeuvre. The first of them rose from the traditional Arabic literary area and inclined to innovative sphere. Initiatives to innovate format and content in Arabic literature mainly arise due to the influence of Western literature. It is possible to observe some similarities between the main principles of European romanticism and realism and Naimy's concept of art.

The second direction in Naimy's literary oeuvre is to solve human nature and his issues not only in the context of certain environment affected by orient civilization or western philosophical thoughts which have oriental origins but in the context of the whole existence. An important part of the litterateur's poetry was written at the result of this flexure.

يعد مخيائيل نعيمة واحدا من أبرز الكتاب العرب الذين تعمقوا في دراسة الأدب الروسي. ولقد عاش عمراً طويلاً بلغ قرابة تسعة و تسعون عاماً خلف وراءه مجموعة من الآثار الأدبية منذ المراحل الأولى لإبداعه خصوصا أبحاثه عن الشعر ونقده. وقد تلقى نعيمة تربية ذات ثقافة مسيحية تقليدية، ونهل من مشارب أدبية وفكرية مختلفة. وعندما تشكلت شخصيته الأدبية كانت له مكانة مهمة في الثقافة الدينية.

وكان نعيمة الذي أحرز شهرة بأشعاره ومقالاته النقدية خلال الفترات الأولى من تأثيره الأدبي قد اتبع حياة الانعزال على الرغم من تواجده مع الناس في الفترة التي تلت عودته من أمريكا – في المرحلة الثالثة من مسيرته الأدبية- إلى لبنان؛ وكرّس نفسه للأفكار الغيبية وما وراء الطبيعة وكتابة أعمال تدور حول هذه المواضيع.

يعد ميخائيل نعيمة أحد روّاد الأدب العربي الحديث، كما أنّه يتميّز بشخصيّة أدبيّة فريدة تتمتّع بتعدُّد مواهبها الأدبيّة كالشِّعر والقصة القصيرة والكتابة التجريبيّة. إن هذا الكاتب الذي غاص منذ طفولته في أفكار تتمحور حول مواضيع الحياة والوجود وأسرارهما كان طوال حياته في بحث عن حقائق كهذه. ولما كان يفكر في ذلك، كان يَرِدُ مشارب فكرية أجنبية عديدة ليتمكن من التوصل إلى فكّ رموز هذه المواضيع.

إذا ما تمّ تقييم ميخائيل نعيمة بالاعتماد على آثاره الأدبية كاملة فسوف يتبيّن لنا أنّ العالم الفكري لنعيمة لم يتأثّر بمعينٍ ثقافي واحد. والمتأمّل في آثاره سوف يلحظ وجود اتجاهين ثقافيين اثنين يطبعان قريحته الأدبيّة،وهما مرتبطان بالمنابع الأدبيّة التي تأثّر بها وتغذّى عليها.

أوّل هذين الاتجاهين هو الاتجاه الحداثي الذي ابتعد به عن خطّ الأدب العربي التقليدي، فهو بمحاولاته الدؤوبة لبثّ روح التجديد في المعنى والمبنى الأدبي حيث كان يظهر بمظهر الواقع تحت تأثير الإعجاب بالأدب الغربي،ومن الممكن الإحساس بتشابه كبير بين مفهوم الفنّ عند نعيمة والاتجاهات الأدبيّة التي ظهرت في بادئ الأمر في أوروبا، كالمدرسة الرومانسيّة والمدرسة الكلاسيكيّة،بحيث يظهر بوضوح الجانب الواقعي في الحكايات القصيرة التي كتبها في بدايات حياته الأدبية.أما الجانب الرومانطيقي فيطبع أشعاره وحكاياته ذات المواضيع المتصلة بما وراء الطبيعة التي كتبها في خضم حياته الأدبيّة.

ويعود الفضل في تعرّف نعيمة على هذين الاتجاهين للأدب الروسي. فمفهوم الأدب و الفنّ الأدبي عند نعيمة تشكّل بعد ارتباطه بالكُتّاب الروس من أمثال بوشكين وليرمونتوف ونكراسوف وبيلينسكي ودوبروليوف وتورغينييف ودوستويفسكي وتولستوي وغوغول وتشيخوف(1) وذلك قبل متابعته للأدباء الأوروبيّين. ففي حين يظهر جليّاً أثر الكُتّاب الروس الواقعيّين في القصص القصيرة التي تتناول المشاكل الاجتماعيّة والتي كتبها في بداية حياته الأدبيّة، تحمل أشعاره التي كتبها في نفس الفترة آثار الشعراء الرومانطيقيّين.

أما الاتجاه الثاني في الإبداع الأدبي عند نعيمة فهو المتمثّل في قبول أن يكون إحساس الفرد أساسا للبحث والتحليل والحكم وهو الاتجاه المُتأثّر بالثقافة الشرقيّة أو بالاتجاهات الفكريّة الغربيّة ذات الجذور الشرقيّة. هناك الكثير من أشعار نعيمة تحسب نتاجا لتلك الفترة.

نستطيع القول بأنّ توجّهات ميخائيل نعيمة كناقد وككاتب للقصص القصيرة وكشاعر قد تطوّرت بنفس القدر،ونالت كلّها نفس الاهتمام. فمفهوم الأدب والفنّ الأدبي عند نعيمة يحدّده بشكل كبير الفرد وحساسيّة هذا الفرد تجاه المجتمع الذي يشكّله ويعيش فيه.

والأدب الحقيقي بنظر نعيمة هو الذي يولي أهمّية قصوى لمعرفة الغاية من خلق الإنسان،مثله مثل باقي فروع الفنون، يجب أن يقدّم الكثير لمعرفة هذه الغاية. ووظيفة الأدب إلى جانب الاهتمام بالإنسان وحاجاته المساعدة في إدراك النفس البشرية و الغاية من وجودها وإيصال الرسائل الإلهيّة للبشر.(2)

من هذا المنطلق نستطيع القول: إنّ نعيمة يُعدّ واحدا من المُدافعين عن الأدب الهادف القائل بأنّ الأدب - خصوصا الشعر- يجب أن يكون وسيلة لبلوغ الحق والوصول إلى الحقيقة. ويمكن اختصار مفهوم الأدب الهادف عند نعيمة بأنه الأدب الذي يستخدم تجلّيات

1 -عائدة إمانقولييفا، معالم الأدب العربي المعاصر، باكو، 2003، ص.198
2 -ميخائيل نعيمة، دروب،، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص. 35

الخالق على وجه البسيطة كالجمال والحبّ والعدالة والاستقامة،تعتبر مبادئ إلهيّة أساسيّة لتحقيق نموذج الإنسان الكامل عن طريق توحّده مع الخالق ولنشر هذه المبادي في المجتمع.

وبالإضافة لكون نعيمة شاعراً مرموقًا، وناقداً معتبراً،فإنه يُعدُّ أيضاً روائيّاً وكاتب قصة متميّزاً . وتعد القصص التي كتبها في بداية حياته الأدبيّة،وخصوصاً تلك التي كتبها متأثّراً بالأدب الروسي التي تعتبر من أرقى القصص التي كتبها في مراحله التالية،والتي اعتمدت على مواضيع ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا). فبالإضافة إلى ثقل المواضيع الفلسفيّة التي احتوتها قصصه اللاحقة،فإنّ هذه القصص خالية من الحركة،كما أنها ضعيفة من الناحية الفنّيّة مقارنة بسابقاتها.

لقد تم جمع كلّ أشعار نعيمة في ديوان معنون باسم "*همس الجفون*".(1) وكانت هذه المجموعة الشعرية المطبوعة لأول مرة في لبنان عام 1945 تتألف من أربع وأربعين قصيدة. وتظهر هذه القصائد أن نعيمة كان شاعراً مُقِلًّا. يقول جورج صيدح أحد شعراء أدب المهجر: "لم يحتاج ميخائيل نعيمة لكتابة الكثير من الشعر لإثبات دهائه الشعري. وحاز مرتبة يحسده عليها الكثيرون فقط بهذا القدر من الشعر الذي كتبه."(2) ولنعيمة قصيدة أيضاً لم تندرج في ديوانه الشعري باسم "من أنتَ؟ ما أنتَ؟". لقد نشرت هذه القصيدة في جريدة "*السائح*" بتاريخ 23 آب/ أغسطس 1922م وهي التي انتقد فيها شاعرنا طغيان فلسفة الحياة المادية على العالم أجمع بعد الحرب العالمية الأولى(3)؛ بيد أنه لم يتطرق أحد لا الشاعر نفسه ولا غيره لعدم وجود هذه القصيدة في ديوانه.(4) فكان الشاعر الذي يقارن الحضارة الغربية بقرينتها الشرقية يشعر بالانزعاج بسبب رؤيته طغيان المادية الغربية على الشرق.

لم يكن جلّ شعر نعيمة باللغة العربية فقد نظم أيضاً بالإنكليزية. ونجد هذه الأشعار المنظومة على الوزن الحر في نهاية ديوانه. وكتب نعيمة أيضاً أشعاراً أخرى باللغة الروسية. وتحمل قصيدة كتبها أثناء دراسته في روسيا اسم "*النهر المتجمد*"؛ ولاحقاً ترجم نعيمة هذه القصيدة المكتوبة عام 1910 إلى اللغة العربية عندما كان في أمريكا سنة 1917. وإن أول شعر وصلنا لنعيمة الذي بدأ بقرض الشعر في سن مبكرة هذه القصيدة التي كتبها عندما كان يدرس في مدينة بولتافا الأوكرانية. وكان السبب الذي قاد نعيمة لكتابة هذه القصيدة حسبما

1 -لقد تمت ترجمة أشعار نعيمة بأكملها إلى اللغة التركية بواسطة أ.د.حسين يازجي و إلى اللغة الآذربيجانية بواسطة د. ماهر حميدوف.

2 -جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، بيروت، 1964، ص. 265.

3 -ميخائيل نعيمة، سبعون، ، المجلد الأول دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص. 482-484.

4 -لقد أوضح شفيع السيد هذه الموضوع بقوله: "لم يدرج نعيمة هذه القصيدة في ديوانه لاحتمال أنه لم يكن مقتنعاً بها أثناء تحضيره لطباعة الديوان الشعري". راجع: شفيع السيد، ميخائيل نعيمة، اتجاهه في الأدب، القاهرة، 1972، ص. 141.

يروي بنفسه هو المنظر الخلاب لنهر "سولا" المتدفق بسلاسة بين الحقول والغابات صيفاً والذي يتجمد شتاءً فيمر فوقه الناس وعربات الأحصنة.(1)

لقد كتب نعيمة وهو في روسيا العديد من الأشعار، ولكن للأسف ضاعت أشعاره الأخرى عدا *النهر المتجمد*.(2)

لقد وقف نعيمة في أشعاره ضد التيار التقليدي فأولى المعنى الأهمية القصوى على حساب المبنى وكمحصّلة طبيعية لهذا الاتجاه لم يكن يرى أن العَروض - الذي هو أهمّ العناصر في بناء الشعر التقليدي - عنصر أساس في الشعر.

كان نعيمة يعتقد أنّه عندما يسعى الوزن والقافية للتعبير عن الأفكار والمشاعر فإنهما يحولانها لموسيقى شاحبة متكرّرة الإيقاع، لذلك فهو يضع التعبير الحرّ عن الأفكار والمشاعر أساساً للشعر فيما يأتي الشكل والمبنى في الدرجة الثانية.(3)

ونعيمة وإن ذهب إلى أبعد من ذلك فقال إنه "لا الوزن ولا القافية هما من ضروريات الشعر"(4) فإنّه لم يخرج في أشعاره عن بحور العروض التي وضعها الخليل ابن أحمد الفراهيدي. والقارئ لأشعار نعيمة يلحظ تجنّبه للبحور الطويلة كالبسيط والمديد والطويل،واتجاهه نحو البحور القصيرة. وهو باستثناء البحر الطويل والمضارع والمقتضب قد استعمل جميع بحور الشعر في ديوانه. كما يلحظ القارئ أنّ نعيمة وإن لم يخرج عن نُظُم العروض فقد لعب بالقوافي بتنويعها وتغيير توزيع البحور.(5)

لذلك نستطيع القول إنّ التجديد الشعري الذي جاء به نعيمة لم يكن تجديداً جذريّاً بل كان يُرى كتعديلات جديدة أجراها على النظام الموجود،وكانت جهوده في تجديد الشعر العربي لا تقل عن جهود أصحاب الموشحات التي ظهرت في الأندلس قبل عدّة قرون.

وبالإضافة إلى أنّ تطبيقات نعيمة في الوزن والقافية لا تبدو مترابطة،فإنّها تتوارى خلف الغنى الفكري والعاطفي لشعره،وتختفي كلّيّاً وراء الوضوح اللغوي وبساطة التعبير لديه. فنعيمة الذي يرى أن البساطة والوضوح هما من ضروريات الحياة،يولي اهتماماً بالغاً في شعره لإيصال المعنى للقارئ باستعمال الكلمات الأجمل والأكثر استخداماً بين الناس، وهو مع هذا

1 -ميخائيل نعيمة، سبعون، المجلد الأول، ص. 259-260؛ جورج صيدح، المصدر السابق، ص. 180؛ أنس داود، الطبيعة في شعر المهجر، القاهرة، ص. 51-53.

2 -بشارة السبعلي: ميخائيل نعيمة يحدثني، بيروت، 1998، ص. 33-34؛ فاخر ميا، "مخائيل نعيمة والثقافة الروسية"، مجلة المعرفة، دمشق، 1995، تشرين الثاني، ص. 386، ص. 193.

3 -ميخائيل نعيمة، الغربال، المجلد الثالث، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص. 391-392.

4 -ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، ص. 425.

5راجع رحمي أر، مختارات من الأدب العربي الحديث، مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة، أنقره، 2004، ص. 18.

كله يبتعد عن التكرار للكلمات والتعابير.

وبالرغم من تأكيد نعيمة في كتاباته على ضرورة استعمال اللغة العامية جنباً إلى جنب مع اللغة الأدبيّة(1) إلّا أنّنا لا نلحظ أيّ مثال لاستعماله هذه اللغة في شعره.

ويولي نعيمة اهتماماً بالغاً للموسيقى في الشعر، وهو يكسب شعره ذلك اللحن الجميل بالاستعانة بالمصادر الموسيقيّة الخارجيّة،كالوزن والقافية والطباق والجناس والنداء،كما يستعين بالموسيقى الداخليّة التي يُحدِثها وقع الكلمات المستخدمة في نفس القارئ وروحه.

أمّا عن ديوانه،فإنّه يخلو من التقسيم المطبق في دواوين الشعراء الكلاسيكيّين،إذ لا وجود لأقسام منضوية تحت عناوين الغزل والرثاء والوصف والمديح والهجاء والفخر. بل لا نجد له قصيدة واحدة كتبت لمناسبة معينة،فالفكر والعاطفة مسيطران على ديوانه بالكامل. وحتى في غزله، فالشاعر لا يصف المرأة وجمالها بل بالعكس يولي مزايا المرأة الإنسانيّة اهتمامه كله ويعمل على وصفها في عالم الروح.

كما تحتلّ الطبيعة مركزاً مهمّاً في أشعار نعيمة. فالطبيعة في نظره تعلو عن كونها مجرّد مخلوقات مادّيّة لتصبح كائناً حيّاً ذا روح. والطبيعة التي استقى منها الشاعر أسماء معظم أشعاره تعتبر من قبله ملاذاً آمناً من حياة المدينة ومادّيّتها القاسية وظلمها. فهي إلى جانب منحها الشاعر حسن القبول بعمقها الروحي تمنحه أيضا الراحة والسعادة وتعينه على الهرب من زحمة حياة المدينة. إنّها حالة موجودة في التيّارات الصوفيّة الانطوائيّة وخصوصاً في التراث العربي والهندي القديم.

ويشكّل الإنسان الموضوع المركزي في أشعار نعيمة. والشاعر الذي يولي الإنسان قيمة عظيمة يرفع لواء الأخوّة الإنسانيّة فالناس جميعهم إخوة، والجميع يجب أن يعيشوا جنباً إلى جنب دون تفرقة بحسب الدين أو العرق. وهو عندما يتحدّث عن الإنسان يُشعر القارئ بالدفء والحنان فنجده يناديه "أخي" و"صديقي" في أماكن كثيرة في ديوانه.

وإذا كان للدين المسيحي دور كبير في تشكيل شخصيّة نعيمة الأدبيّة؛ لكونه قد ترعرع في بيئة كنسيّة تقليديّة(2) فإن نعيمة قد خالف تعاليم الكنيسة فيما بعد(3) وشكّل إيمانه المسيحي الخاص المشوب بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح(4) في النهاية نستطيع القول:

1 -ميخائيل نعيمة: الآباء و البنون، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص. 146 – 147.
2 -ميخائيل نعيمة: سبعون، ص. 9– 169.
3 -ميخائيل نعيمة: المصدر السابق، ص. 271– 279.
4 -ميخائيل نعيمة:المصدر السابق، ص. 187– 189، 272 – 273.

إنه لم يبق من التربية المسيحية التقليدية في فكر نعيمة إلا بعض الطقوس الجامدة.

أمّا المواضيع الفلسفيّة التي احتوتها أشعار نعيمة فيلاحظ أنّها بعيدة عن الأحكام المطلقة للعقل البشري، بل إنّ الشاعر عند تطرقّه لهذه الأمور يلقي كل اهتمامه على قلبه ومشاعره ويفضّل الوصول للحقيقة باستعمال غريزته عوضاً عن عقله وتفكيره. لهذا، يبدو الشاعر متأثّرا بالتيّار الصوفي الذي يقدم القلب أكثر من تأثّره بالاتجاه الفلسفي الذي يحكّم العقل والمنطق، ونستطيع لذلك القول بأنّ جميع أشعار نعيمة بشكل عام وخصوصاً أشعاره التي كتبها بأوزان حرة كتبت بجوّ صوفي عميق. وتُعد الرسالة التي حمّلها نعيمة للغريزة لكشف حقائق تكوين الوجود(1) هي نفسها تلك القيمة السامية التي يوليها المتصوفة للغريزة لإدراك الخالق والوصول للعلم اللدنّي.(2)

ومن تأثير التصوّف على نعيمة نرى اعتكافه وغوصه في الصمت والتأمّل لمدد طويلة. هذا الصمت الذي ينبع من استسلام الشاعر لغريزته أو لخياله؛ ليكشفا له الحقائق التي يستحيل على العقل أن يتوصّل إليها، بحيث أصبع اعتزال الناس والصمت والحياة بمنأى عن المجتمع من سمات شخصيّته التي يمكن استشفافها من آثاره المتنوّعة.

وإدراك العلم اللدنّي وفهم غاية الوجود الإنساني هي الحالة القصوى المعروفة عند التيارات الصوفيّة بـ "الفناء في الله" حسب التراث الصوفي الاسلامي، أو "الوصول إلى النيرفانا" حسب الاعتقاد البوذي في التراث الهندي القديم، أو في الاعتقاد البراهماتي حلول براهما الخالق في كل مكان، وما هذه المسمّيات إلّا تعبير عن حقيقة واحدة، أو عن مفهوم واحد،هو وحدة الوجود.

على أنّنا يجب أن نبيّن أنّ فكرة وحدة الوجود عند نعيمة وإن تأثّرت في بادئ الأمر بالمفهوم الصوفي الإسلامي، فإنّها خرجت فيما بعد من هذه العباءة لتقترّب أكثر من المفهوم الهندي الذي يوحي بتمكّن الفرد بجدّه و اجتهاده من الحلول محلّ الخالق نفسه. أمّا المفهوم الصوفي الإسلامي للفكرة فلا يعني الاتحاد الجسماني مع الخالق،بل إدراك صفاته والذوبان معنويّاً في ذاته.

يُضيف نعيمة – الذي يستخدم الرموز كثيراً في شعره – إلى المعاني الظاهريّة

1 -نعيمة: في الغربال الجديد، المجلد السابع، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص. 460 ؛ نعيمة: المراحل، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص 50؛ نعيمة: صوت العالم، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص 274. كما يمكن الاطلاع على كتاب محمد شفيق شيا، فلسفة ميخائيل نعيمة، بيروت، 1987، ص 313 – 317.

2 -للاستزادة الرجاء الاطلاع على كتاب مسائل التصوف الاسلامي (بالتركية)، إيرول غونغور، نشريات أوتوكان، إسطنبول، 1982، ص. 118، 139-142.

للكلمات معانٍ أخرى أكثر عُمقاً، متشبهاً في ذلك بالتقليد الصوفي الذي يتبحّر في استعمال الكلمات في معانٍ خارجة عن معانيها الأصليّة. على أنّ هذا التشابه لا يعني بالضرورة أنّ نعيمة تأثّر فقط بالتصوّف الإسلامي بل تأثر بمدارس التصوف الشرقية الأخرى.

يعدّ الطريق الذي اتبعه نعيمة لإدراك الحقيقة العُظمى النقطة المشتركة بينه وبين الفلاسفة المسلمين،وبينه وبين المسيحية والإيمان الهندي القديم. فنعيمة -كهؤلاء الفلاسفة الذين جاؤوا قبله- حاول الوصول إلى الحقيقة العظمى عن طريق اعتماد عالم الوجود في حال وحدة. ونعيمة الذي يستخدم في أشعاره نظريات وحدة الوجود وتناسخ الأرواح لفهم الحقيقة العظمى، يستعين بهذه المفاهيم لإشباع شغفه بالحياة الأبديّة.

وهكذا فبإمكاننا أن نشاهد وبوضوح كيف تركت الاتجاهات الدينيّة والفلسفيّة المختلفة آثارها على فكر نعيمة. بل بإمكاننا القول إنّ هذه الأفكار والأحاسيس، بدل أن تكون نتيجة لتأثّر الأدباء بعضهم ببعض،أو عزفاً لبعض الأدباء في أزمنة متعدّدة لالحن الروحي الواحد، فّإنها أمست حقائق خالدة متحرّرة من أي زمان أو مكان، تخاطب الجانب الروحي لدى الإنسان.

فبإمكاننا القول إنّ نعيمة لا ينتمي لأي اتجاه فلسفي، وإنّ الاتجاه الديني عنده أقوى من الاتجاه الفلسفي.

أمّا قول بعضهم: إنّ نعيمة لكونه تأثّر بالكثير من الثقافات الأجنبيّة، وتطوّر من خلالها، فهو يفتقر إلى الإبداع الخاصّ النابع من الذات - فهذا قول مردود على صاحبه؛ لأنّ التأثّر بالثقافات المختلفة جزء لا يتجزّأ من الإبداع. والمهمّ للأديب أن يسخّر خبراته وتجاربه التي اكتسبها من الثقافات المختلفة في إبداعاته الأدبية.

وهكذا استطاع نعيمة باطلاعه على مختلف الثقافات أن يتجاوز روح التقليد التي سيطرت على الأدب العربي لمئات السنين، وأن يبدع أعمالاً شعريّة فنّيّة تتجاوز المبنى لتبدع في المعنى، وهنا يظهر أيضا مفهوم الفنّ لدى نعيمة . فالفرق بين أشعار نعيمة والشعر العربي التقليدي هو في العروض والفنون الأدبيّة واللغة، ففي حين فضّل الشعر الكلاسيكي التركيز على المبنى، آثر نعيمة التركيز على المعنى.

من هذا كله يتبيّن لنا أن تعامل نعيمة مع الشعر الكلاسيكي العربي مشابه لتعامل الأدباء الأوروبيّين الرومانطيقيّين مع المدرسة الأدبيّة الكلاسيكيّة. فالأدباء الأوروبيّون الفردانيّون أولوا اهتمامهم للعالم الداخلي للإنسان عوضاً عن اهتمامهم بخارجه. فقيمة

المجتمع برأي هؤلاء الأدباء هي نسبة إحساس الفرد بهذه القيمة(1) وهكذا فالفرد يأتي قبل المجتمع. وهذه الخصوصيّة في التيّار الرومانطيقي كان لها دور بارز في تنشئة شخصيّة نعيمة الأدبيّة.

على أنّه لا يجوز اعتبار أنّ إصرار نعيمة على التجديد تقليد أعمى للأدب الغربي بل هو ثمرة حبّ لهذا الأدب، وسير لا إرادي في هذا الاتجاه. والسبب لهذا الحبّ هو أنّ الأدب الغربي يتجاوب مع متطلّبات العصر، ويعكس الحالة العاطفيّة والفكريّة للإنسان المعاصر.

وفي الختام، يمكننا القول إنّ نعيمة - صاحب الاطلاع الواسع على الأدب الأوروبي،والمؤمن بأنّ الشاعر مفكّر يجب عليه أن يتجاوب مع متطلّبات عصره - تبحّر في دراسة المشكلات التي عاناها الأدب العربي، وقد سخّر خبرته وإبداعه في سبيل حلها.

قائمة المراجع و المصادر:

1- عائدة إمانقولييفا، معالم الأدب العربي المعاصر، باكو، 2003.

2- أنس داود: *الطبيعة في شعر المهجر*، القاهرة.

3- إيرول غونغور: *التصوف الاسلامي* (بالتركية)، نشريات أوتوكان، إسطنبول، 1982

4- بشارة السبعلي: *ميخائيل نعيمة يحدثني*، بيروت، 1998.

5- جورج صيدح: *أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية*، بيروت، 1964.

6- رحمي أر، *مختارات من الأدب العربي الحديث*، مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة، أنقره، 2004.

7- شفيع السيد: *ميخائيل نعيمة: اتجاهه في الأدب*، القاهرة، 1972.

8- شوقي ضيف: *دراسات في الشعر العربي المعاصر*، دار المعارف القاهرة، .1959

9- فاخر ميا: "مخائيل نعيمة والثقافة الروسية"، *مجلة المعرفة*، دمشق، 1995.

10- ميخائيل نعيمة: *دروب*، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.

11- ميخائيل نعيمة، سبعون: المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.

12- ميخائيل نعيمة: *الغربال* ، المجلد الثالث، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.

13- ميخائيل نعيمة: *الآباء و البنون*، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.

1 -شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 247، دار المعارف القاهرة، 1959

14- ميخائيل نعيمة: *في الغربال الجديد*، المجلد السابع، دار العلم للملايين، بيروت، 1999 .

15- ميخائيل نعيمة: *المراحل*، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.

16- ميخائيل نعيمة: *صوت العالم*، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.

17- ميخائيل نعيمة، همس الجفون، ترجمة ماهر حميدوف، مطبوعات العلم و التعليم، باكو، 2014.

18-محمد شفيق شيا: فلسفة ميخائيل نعيمة، بيروت، 1987